المتطورة عموماً؛ ويتميّز هذا الصراع بوجود عامل خاص مرتبط بوجود اسرائيل في المنطقة.

بقيت اسرائيل، دوماً، تتصل بادارات الدول العربية الموالية للغرب بأقنية عديدة؛ احداها هي قناة الدول الرأسمالية المتطورة عموماً، والولايات المتحدة خصوصاً؛ فالاتصال السياسي، والاقتصادي، بالدول المذكورة يتضمّن اتصالاً سياسياً واقتصادياً بالقيادة الرأسمالية للصهيونية الدولية، أي بالقيادة الحقيقية لاسرائيل. وقد يتضمّن ذلك، أيضاً، الاتصال اتصالاً مباشراً سرياً الى هذه الدرجة أو تلك، بالحكومة الاسرائيلية. من جملة قنوات الاتصال الأخرى يأتي الاتصال بالمخابرات الدولية؛ ومن ذلك المخابرات الاسرائيلية.

الخدمات السياسية للقوى الخارجية هي أمر خطير، ويزداد خطورة بمقدار ما تكون التحوّلات في المنطقة، التي يتمّ بها ذلك، حادة وخطرة.

والخدمات، التي كان يقدمها بعض القوى العربية الموالية للغرب، كانت خطورتها تتركز في كونها موجهة، بأشكال مختلفة، الى ضرب فصائل حركة التحرر الوطني العربية، ومرتكزاتها.

في لبنان، كانت النشاطات المعادية لحركة التحرر الوطني العربية مبكرة، ومتنوّعة، وكان الشكل الطائفي للحياة الاجتماعية والسياسية جزءاً من ذلك، ويساعد عليه. وبالنسبة الى العلاقة مع اسرائيل، فقد بقيت الحدود مفتوحة سراً بواسطة عصابات التهريب طوال الفترة التي تلت هدنة العام ١٩٤٩. كانت المخدرات تؤلف مصلحة مشتركة بين المهربين الاسرائيليين واللبنانيين، كما كان يتمّ تهريب المواشي بصورة خاصة الى اسرائيل، وتهريب بعض السلع الاسرائيلية الى لبنان. اضافة الى ذلك، لم يكن من الصعب أبداً ـ وهذا ينطبق على بعض البلدان العربية الأخرى ـ ان تجد المخابرات الاسرائيلية منافذ عديدة لها في لبنان بواسطة العملاء المحليين، أو الاسرائيليين من أصل عربي، او بعض الاجانب الاوروبيين، أو الاميركيين، الذين يعملون لصالح اسرائيل.

في الوقت عينه، كان لا بدّ من ان تمتد موجة حركة التحرر الوطني العربية الى لبنان، وتتجسّد، جزئياً، بتيار وطني عام لدى بعض الكتل والاحزاب اللبنانية، وجزئياً بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بالوجود الفلسطيني الواضح. وكان لا بدّ، من جهة أخرى، ان تظهر ردود فعل مضادة، دولية ومحلية؛ وكان من جملة ذلك ظهور ميليشيات يمينية، يرجع تشكيلها الى الستينات.

نوع خاص من الهمجية

الهمجية التي ظهرت في المجزرة تستدعي الكثير من الدراسة. لقد وجدت من قبل مجازر عديدة في التاريخ البعيد، والقريب، بعضها اكبر بكثير، وبعضها أصغر. ففي القديم كانت، عموماً، كل مدينة يدخلها الغزاة، تمتلىء بالجثث، ويتعرّض فيها جميع السكان، او أغلبهم، للسلب، أو الاغتصاب، او الانتقام والقتل، أو للسبي والبيع، أو لكل ذلك معاً. وفي التاريخ الحديث، وجدت مجازر عديدة، منها النازية، ومنها مجازر هيروشيما وناغازاكي، ولكن تتميّز مجزرة صبرا وشاتيلا بنوع خاص من الهمجية.

قد يقتُل المتوحّش، أو الهمجي، الشيخ، أو المرأة، أو الطفل، من دون ان يصدر عنهم أي أذى، او مقاومة، ومن دون ان تكون لديهم أي وسيلة دفاع. ولكن يقتلهم فقط، أو يغتصب المرأة ويقتلها. امّا، هنا، فقد ارتكب ما هو أسوأ بكثير. أيستطيع احد، لديه أدنى حسّ انساني، ان يحطم رأس رضيع على جدار؟ أو ان يفسخ رضيعاً من رجليه؟ او ان يشق بطن امرأة حبلى ليستخرج